عدم تدريس المخارج والصفات

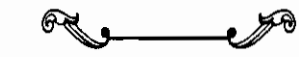

إن الغالبية العظمى من القائمين على تدريس علم التجويد لحفاظ القرآن الكريم لا يقومون بتدريس المخارج والصفات للطلاب، وأنا أجزم بأن القارئ لكتاب الله تعالى لا يمكن أن يصل إلى التلاوة الصحيحة لحروف القرآن بغير تدريس باب المخارج والصفات، فترى الكثير منهم يبدأ مباشرة بشرح أبواب التجويد مثل أحكام النون الساكنة والتنوين وغير ذلك من الأبواب، دون أن يلتفت إلى أن أهم أبواب التجويد على الإطلاق وأكثرها تأثيراً في إتقان التلاوة هو باب المخارج والصفات، حتى أنك لتلاحظ في بعض مؤلفات علم التجويد الحديثة خلوها من أي إشارة للمخارج والصفات وكأنه أمرٌ لا وجود له، مع أن دراسة هذا الباب لا تفيد فقط في إخراج الحروف من مخارجها وبصفاتها بل وتفيد فوق ذلك في إيجاد التعليل لكثير من الظواهر التجويدية مثل الإدغام والإظهار وغير ذلك، كما أنه من الأبواب المهمة التي يظهر من خلاله نعمة البيان وهي من أجل النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، إذ أن الطالب وهو يرى كيف أن الله تعالى حدد لكل حرف من حروف القرآن مخرجاً محدداً وصفة معينة، ليدرك عظم خلق الله ونعمه التي أنعمها على عباده، إذ أن الحرف لو خرج من غير مخرجه لم يكن له وجود، إن بعض المجودين لكتاب الله يتعللون بأن الحروف تخرج من مخارجها وبصفاتها خروجاً طبيعياً لا يحتاج إلى تدريس ولا يحتاج على تدريب وهذا من الخطأ البين الواضح، إذ أن المخارج والصفات تتأثر تأثراً بالغاً باللهجات العامية والتقليد الخاطئ، وبالمشاكل العضوية والنفسية للإنسان.

OBEIKAN.COM

مما يظهر معه أهمية وضع الأمور في مواضعها الصحيحة وذلك بالتدريس الجيد لمخارج هذه الحروف وصفاتها، والمتأمل في التعريفات التي وضعها العلماء لعلم التجويد نجد أنهم قد أعطوا المخارج والصفات الجانب الأكبر من الاهتمام، وبالنظر في تعريفاتهم نجد مثلاً ابن الجزري يقول : « ولا بأس بتقديم فوائد لابد من معرفتها لمريد هذا العلم قبل الأخذ فيه كالكلام على مخارج الحروف وصفاتها ..... » (١) .

ويقول المرعشي في جهد المقل : « التجويد في اللغة التحسين ، وفي الاصطلاح: علمٌ يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وقد يطلق فيه على إعطاء الحروف حقوقها من المخارج ومستحقاتها من الصفات ....» (٢) .

ويقول الداني : « اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها عن بعض وإن اشترك في المخرج» فكيف يعطى علماء التجويد هذه الأهمية الكبرى والتي ترفع المخارج والصفات ليكون الباب الأهم في هذا العلم ثم يأتي علماء وطلاب هذا العلم في وقتنا الحاضر فيهملوه، ولقد حاولت أن أبحث في الأسباب التي من أجلها عزف الناس عن المخارج والصفات ، وتوصلت إلى أن من أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الأمر ما يلي :-

أولاً: اختلاف العلماء حول عدد المخارج والصفات:

اختلف العلماء اختلافاً كبيراً حول عدد المخارج والصفات وذلك إلى الحد الذي أصاب طلاب هذا العلم بالاضطراب وبالحيرة، وبالتالي قد يؤدى أحياناً إلى رجوعهم عن طلب معرفة هذا الباب، ومن ثم حدوث الخلل الكبير بمعرفتهم بأسس وقواعد تجويد القرآن، والمتأمل في مؤلفات العلماء يرى هذا

(١) - ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . المكتبة التجارية الكبرى ١/ ١٩٨
(٢) - جهد المقل . محمد بن أبي بكر المرعشي، دار الصحابة، ص١٠ .

الإختلاف البين فمثلاً ابن الجزري يقول : « أما مخارج الحروف : فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل ابن أحمد ومكي بن أبى طالب وأبى القاسم الهذلي وأبى الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الإختيار، وهو الذي أثبته أبوعلي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها، وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر وأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق والواو من مخرج المتحركة وكذلك الياء، وذهب قطرب والجرمى والفراء وابن دريد وابن كيسان إلى أنها أربعة عشر فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد وهو طرف اللسان، والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختيار» (١) .

وذهب بعضهم إلى أن لكل حرف مخرج كما قال ابن الحاجب عثمان بن عمر وذهب مكي بن أبى طالب القيسي في الكشف إلى أنها ثلاثة الحلق والفم الشفتان، فمن بين اختلاف العلماء في كونها سبعة عشر أو ستة عشر أو أربعة عشر أو ثلاثة وغير ذلك يجد الدارس الصعوبة في الوصول إلى الإختيار الأمثل الذي يتلقاه ويعمل به، وسوف أقوم في نهاية بحث مشكلة المخارج والصفات ببيان الإختيار الأمثل في عدد المخارج، أما بالنسبة للصفات، فشأنها شأن المخارج في الخلاف حولها، فقد توصل مكي بن أبى طالب إلى أن صفات الحروف وألقابها أربعة وأربعون لقباً: « لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرون وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبا صفات لها، وصفت بذلك على معان وعلل ظاهرة نذكرها مع كل قسم إن شاء الله تعالى، في أربعة وأربعين باباً » (٢).

(١) النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ص ١٩٨، ١٩٩.
(٢) الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبى طالب القيسي، دار عمار، ص ٩١.

OBEIKAN.COM

أما أبو عمرو الداني فيبين أن صفات الحروف ستة عشر صفة، ومن بين اختلاف العلماء في تحديد الصفات والمخارج يجد الدارس الصعوبة البالغة في الوصول إلى الحقيقة، وكذلك في الوصول إلى الرأي الذي يأخذ به ويعمل به، مما يدفع بعضهم أحياناً إلى التراجع عن دراسة المخارج والصفات .

ثانياً: ندرة وجود العالم المحيط بعلم المخارج والصفات

إن العلم بأحكام وقواعد التجويد لا يكفى فيه أن يكون العالم محيطاً بأحكام التجويد الخاصة بالميم الساكنة والنون الساكنة والتنوين وخلاف ذلك، بل لابد مع ذلك من المعرفة الجيدة بمخارج الحروف وصفاتها، ولكن مع الأسف هذا أمرٌ نادر، فنادراً ما يوجد ذلك العالم المحيط بهذه الأحكام، ونبه مكي بن أبى طالب في الرعاية إلى أهمية الاهتمام بمسألة الحروف ومخارجها وذلك بالنسبة للعالم والمتعلم على السواء فقال : « والمقرئ إلى جميع ما ذكرناه في كتابنا هذا أحوج من القارئ، لأنه إذا عَلِمه علَمه ، وإذا لم يعلمه لم يعلمه فيستوي الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ، ويضل القارئ بضلال المقرئ ....»[1] .

وقد ذكر مكي في كتاب الرعاية أيضا أن القراء يتفاضلون بالعلم بالتجويد، وليس أدل على كل ما سبق من قول المرعشي في بيان جهد المقل : « الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر » ومن هنا فإنني أدعو إلى ضرورة التدريب الجيد على المخارج والصفات حتى نوفر العدد المطلوب من العلماء الأكفاء في هذا الباب ومن ثم ينعكس ذلك بالخير على قراء القرآن في مختلف بقاع الأرض .

ثالثاً: صعوبة مصطلحات المخارج والصفات :

أما ثالث أسباب العزوف عن تدريس المخارج والصفات فهو صعوبة

(١) الرعاية لتجويد القراءة، المرجع السابق، ص٢٢٧، ٢٢٩.

OBEIKAN.COM

المصطلحات الواردة في هذا الباب، ومما لا شك فيه أن الطالب يصطدم أحياناً ببعض المصطلحات في باب المخارج والصفات والتي قد لا يستطيع أن يفهم معناها بنفسه دون الإستعانة بأخرين، أو دون الإستعانة بأحد المعاجم اللغوية وهذا أمرٌ قد يصد الطالب ويثنيه عن مواصلة دراسة هذا المبحث، من ذلك مثلاً ما أورده السمرقندى في روح المريد من وصفه للقاف بأنها غلصمية، ومن وصفه للكاف بأنها عكدية، وكذلك ما وصف به الخليل بن أحمد لحروف الظاء والدال والتاء بأنها حروف نطعية، ومنه ما وصف به بعضهم بعض الحروف من أنها حروف الذلاقة، وحروف الإصمات، إلى غير ذلك من الصفات والمخارج شديدة التعقيد والتي يتراجع معها الطالب عن مواصلة الدراسة، كما يضاف إلى أسباب التراجع عن دراسة المخارج والصفات الخلاف القائم بين علماء التجويد وعلماء الدراسات الصوتية، إذ قد يصف علماء الدراسات الصوتية بعض المخارج والصفات بصفات ومصطلحات مغايرة تماماً لمصطلحات علماء التجويد، مما يزيد الأمر غموضاً وصعوبة علي كل من العلم والمتعلم، والآن سوف أقوم بعرض مبسط للمخارج والصفات، سوف أراعى فيه المجمع عليه وأتجنب المختلف فيه، وأوضح ما خفي من معاني بعض المصطلحات ولكن ذلك يلزم معه ضرورة تلقى المخارج والصفات من أفواه العلماء مع التدريب الجيد عليها حتى نجنى ثمار هذا العلم بحسن تلاوة القرآن الكريم وحسن تعلمه وتعليمه .

OBEIKAN.COM

مخارج الحروف

١- **الجوف:** ويخرج منه أ - و - ى (المدية)

٢- **الحلق :** وينقسم إلى:
- أقصى الحلق ويخرج منه ء - هـ
- وسط الحلق ويخرج منه ع - ح
- أدنى الحلق ويخرج منه غ - خ

٣- **اللسان:** وينقسم إلى
- أقصى اللسان ويخرج منه ق - ك
- وسط اللسان ويخرج منه ج - ش - ى
- حافة اللسان ويخرج منه ض - ل
- طرف اللسان ويخرج منه :

١- ن. ٢- ر. ٣- ط، د، ت.

٤- ص، س، ز. ٥- ظ، ذ، ث

٤- **الشفتان :** وتنقسم إلى
- بطن الشفة ويخرج منه ف
- بين الشفتين ويخرج منه و، ب، م

٥- **الخيشوم :** ويخرج منه صفة وليس حرف وهى الغنة

OBEIKAN.COM

صفات الحروف

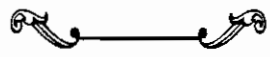

تنقسم صفات الحروف إلى قسمين

١ – صفات لها ضد ٢ – صفات ليس لها ضد

أولاً : الصفات التي لها ضد

١ – الجهر ويقابله الهمس ٢ – الشدة والبينية والرخاوة

٣ – الإطباق ويقابله الإنفتاح ٤ – الإستعلاء وضده الإستفال

ثانيا : الصفات التي ليس لها ضد

١ – الصفير ٢ – القلقلة ٣ – اللين

٤ – الإنحراف ٥ – التكرير ٦ – التفشي

٧ – الإستطالة

أولاً :بيان الصفات التي لها ضد :

١ - **أما بالنسبة للحروف المهموسة** فهي الحروف التي يجرى النفس عند النطق بها لضعف الإعتماد على المخرج ويجمعها في اللفظ (فحثه شخص سكت) وما عدا هذه الحروف يسمى حروف مجهورة، والحرف المجهور حرف أشبع الإعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه.

٢ - **والحروف الشديدة هي** الحروف التي لزمت موضعها فمنعت الصوت أن يجرى فيها ويجمعها في اللفظ (أجد قط بكت) أما الحروف الرخوة فهي الحروف التي يجرى فيها الصوت ويمتد بها، وبين الحروف الرخوة والحروف الشديدة توجد الحروف البينية ويجمعها في اللفظ (لن عمر) وهى الحروف

OBEIKAN.COM

التي يجرى بعض الصوت معها فلا هي بدرجة جريان الصوت مع الحروف الرخوة ولا هي بدرجة عدم امتداد الصوت مع الشديدة، بل يمتد الصوت معها امتداد متوسطاً، ودقة الإتيان بالحروف الرخوة والشديدة والمتوسطة يحتاج إلى أخذٍ من أفواه العلماء.

٣- **أما بالنسبة للإطباق ففيه :** « يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك الأعلى وينقعر وسطه »، وقال القرطبي : « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن ...» والإنفتاح لا تطبق لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت، وحروف الإطباق أربعة أحرف وهى الطاء، والظاء، والصاد، والضاد، والطاء أقواها وأمكنها والظاء أضعفها في الإطباق والصاد والضاد متوسطان في الإطباق ، وماعدا هذه الحروف الأربعة يعد من حروف الإنفتاح .

٤- **أما بالنسبة للإستعلاء** فسميت حروفه مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك الأعلى ويجمعها في اللفظ (خص ضغط قظ) وما عداها حروف مستفلة وهى حروف لا يعلو بها إلى جهة الحنك بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم.

ثانياً: بيان الصفات التي ليس لها ضد:

١- الصفير :

وحروفه ثلاثة «الزاي والسين والصاد» وسميت بحروف الصفير، لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير، ففيهن قوة لأجل الزيادة التي فيهن، فالصفير من علامات قوة الحرف. والصاد أقواها للإطباق والاستعلاء اللذين فيها والزاي«تليها في القوة للجهر الذي فيها والسين أضعفها للهمس الذي فيها »[1].

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبى طالب القيسي ، الصحابة، ص ٤١.

٢- القلقلة :

وقد أفردت لها مبحثاً مستقلاً أرجو مطالعته .

٣- اللين :

وحرفا اللين هما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة وإنما سميتا بذلك، لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة علي اللسان .

٤- الإنحراف:

قال مكي في الرعاية : « حرفا الإنحراف، وهما اللام والراء، وإنما سميا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما وعن صفتهما إلى صفة غيرهما » .

فسمي منحرفاً لانحرافه عن حكم الشدة وعن حكم الرخاوة فهو بين الصفتين ويقول عن الراء وقيل : إنما سميت منحرفة لأنها في الأصل من الحروف الشديدة لكنها انحرفت عن الشدة إلى الرخاوة ، حتى جرى معها الصوت .....» [١].

٥- التكرير :

هو ارتعاد طرف اللسان بالراء، وتكريره لحن يجب التحفظ منه وصفة التكرير صفة تذكر لتجتنب.

٦- التفشي :

والحرف المتفشى هو حرف الشين ، ومعنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها، ولها ثلاث حالات فتظهر أشد ما تكون عند التشديد وتتوسط عند التسكين وتخف عند التحريك.

---

(١) الرعاية مكي بن أبى طالب القيسي، المرجع السابق.

OBEIKAN.COM

٧- الاستطالة :

يقول المرعشي في جهد المقل : « الاستطالة : هي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها، والحرف المستطيل هو حرف الضاد سميت بذلك لأنها استطالت علي الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام لقرب مخرجها من مخرج اللام » .

هذا كل ما أردت قوله في مسألة المخارج والصفات، تجنبت فيه عن عمد الخوض في التفاصيل واقتصرت على ذكر الأصول والأساسيات التي يلزم المجود الإلمام بها، ومن طلب التفصيل والتبحر في ذلك فكتب المخارج والصفات وأبوابه موجودة في الكثير من كتب التجويد، ولكنى اقتصرت على الحد الذي إذا نقص علم المجود عن معرفتها أثر هذا النقص على إتقانه لحروف القرآن .

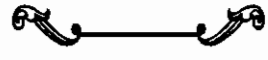

OBEIKAN.COM